الأسرة الرابعة عشرة

قلنا فيما سبق إن المؤرخ «إدورد مير» قد اتخذ مِن نقش الملك «نحسي» على تمثاله العبارة التالية «محبوب الإله «ست» صاحب «أواريس»» دليلًا على أن الهكسوس كانوا فعلًا قد استعمروا مصر في عهده، ويزعم أن الإله «ست» لم يُذكر على أيِّ أثرٍ في «تانيس» قبل عصر الهكسوس؛ إذ ذُكر لنا كلٌّ مِن الفرعون «مرمشع» و«سبك حتب» (السابع) على تماثيلهما: «المحبوبين بين الإله «بتاح» صاحب «منف»»، وكانت «أواريس» عاصمة الهكسوس، والإله «ست» هو إلههم؛ ومِن ثَم كان «نحسي» ووالده من رعايا «الهكسوس»؛ وأن غزوهم لمصر كان قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة، ومن الممكن أن تعزى التغيرات السريعة في تولية العرش إلى الفترة التي تلاها دخول «الهكسوس».

على أن هذا البرهان لا يرتكز على أساس متين؛ وذلك لأن «ست» كان يُعبد في «الدلتا» في هذه المنطقة منذ الأسرة الرابعة، كما سنبين ذلك، وأن «أواريس» هي نفس «تانيس»، كما برهن على ذلك الأستاذ «ينكر» في مقاله عن «بحر نفر»، وسنفصِّل القول في ذلك عند الكلام على عصر الهكسوس. وعلى أية حال فإنه لم يمضِ طويل زمن على نهاية حكم «نحسي» حتى انتهت الأسرة الثالثة عشرة، على حسب ما جاء في «ورقة تورين»، ثم ابتدأت الأسرة الرابعة كما ذَكر «مانيتون».

وملوك الأسرة الرابعة عشرة[١] يُنسبون إلى بلدة «سخا» (أكسيوس) في شمال الدلتا، وقد حَفظت لنا «ورقة تورين» من أسماء ملوك هذه الأسرة نحوًا مِن واحد وعشرين ملكًا (العمود الحادي عشر)، ونجد فيها فاصلًا جديدًا يدل على تغيير فرع الأسرة المالكة، على أننا لم نجد من بينهم ملكًا واحدًا مذكورًا على الآثار أو في قائمة «الكرنك»، ويمكننا أن نقرر أنهم لم يحكموا الوجه القبلي، بل كان سلطانهم منكمشًا غرب الدلتا؛ حيث كانوا تابعين لملوك الهكسوس الذين استوطنوا شرقي الوجه البحري. وتدل الأرقام التي حفظت لنا عن حكم هؤلاء الملوك على أنهم كانوا لا يمكثون على العرش إلا زمنًا قصيرًا جدًّا مثل أسلافهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة، ومن المحتمل أن الأسرة القديمة أو، بعبارة أخرى، بقية البلاط قد احتموا في مناقع الدلتا؛ حيث كانت المنازعات مستمرة من أجل ظل العرش. ومما لا ريب فيه أن الهكسوس كانوا في هذه الحالة يشجعون على استمرار هذه المنازعات والخلافات بزجِّ مدَّعٍ جديد للعرش يشدُّون أزره. وقد كان الوجه القبلي في ذلك العهد مقرًّا لبيتٍ ثالث يدعى ملك الوجهين القبلي والبحري، وهو الأسرة السابعة عشرة — على حسب رأي «مانيتون» — وهؤلاء من جهتهم لم يحكموا كل الوجه القبلي؛ وذلك لأننا وجدنا بجانبهم إمارات مستقلة، بالفعل أو بالحق الشرعي.

ومن ثم نشاهد أن بداية حكم «الهكسوس» وتَسَلُّطهم على البلاد كان عهد انحلال جديد لوحدة الدولة المصرية.

[١] راجع: Ed. Meyer, “Histoire de L’Antiquite”. II. § 301.